

THEORETICAL BACKGROUND CREATE PROBLEMS IN SCIENTIFIC RESEARCH

BİLİMSEL ARAŞTIRMADA TEORİK ARKAPLAN OLUŞTURMA SORUNU

Naima RAHMANİ
Nassira BEKKOUCHE

Abstract

The scientific research is good and authentic, which is in addition to the filled through a gap in previous studies or treated to some of the weak points the professional scientific treatment. The theoretical background is the basis for a good choice of research problem, which is not considered just the experience of the researcher but a blending between previous studies and the available facts, and may sometimes based on the theory directly ready. Good theoretical background can be completed in search of authentic scientific contribution theorist offers or applied

Keywords: The scientific research, The theoretical background.

Özet

Yerleşik bilimsel geleneğe göre hazırlanmış bir bilimsel araştırma, konuyla ilgili önceki araştırmalarda görülen boşlukları doldurmalıdır; onların çözümleyemedikleri problemleri çözecek öneriler sunmalıdır. Araştırmanın teorik alt yapısı, bu açıkların tesbiti açısından çok önemlidir. Teorik alt yapı sadece araştırmacının konuya vukufiyetini açıklama işlevi görmez, önceki teorilerin mevcut olguları açıklayıp açıklamadığını ve yeni bulgularla desteklenip desteklenmediğini de ortaya koymalıdır. Olgularla teoriler arasındaki ilişkiyi açıklamalıdır. Teorik arkaplan, yapılacak yeni araştırmanın bulgularının, mevcut teorilere nasıl bir katkı yapacağını açıkça belirtmelidir.

Anahtar Kelimeler: Bilimsel Araştırma, Teorik Altyapı

إشكالية توظيف الخلفية النظرية في البحوث العلمية

الدكتورة نصيرة بكوش

الدكتورة نعيمة رحمانى

جامعة تلمسان

جامعة تلمسان

الملخص:

البحث العلمي الجيد والأصيل هو الذي يمثل إضافة من خلال سدّه لفجوة في الدراسات السابقة، او معالجته لبعض نقاط الضعف فيها معالجة علمية احترافية. والخلفية النظرية هي أساس الاختيار الجيد للمشكلة البحثية، وهي لا تعتبر مجرد خبرات لدى الباحث بل هي مزج بين الدراسات السابقة والحقائق المتوفرة، وقد تستند أحيانا لنظرية جاهزة مباشرة. والخلفية النظرية الجيدة يمكنها ان تنجز بحثا علميا أصيلا يقدم اسهاما تنظيريا أو تطبيقيا.

مقدمة

يفرض علينا البحث العلمي التقيد بقواعد وإجراءات تكون إطارا معرفيا ومنهجيا يستطيع من خلالها الباحث ان يعالج موضوع بحثه بطريقة علمية وعملية في آن واحد. ومن بين هذه الإجراءات التقيد بنظرية علمية تساعد في توجيه البحث العلمي وبالمقابل يقوم هذا الأخير باختبار صحة هذه النظرية على أرض الواقع وبعملية استمرارية.

هناك أبحاث علمية تعتمد على توظيف نظريات جاهزة توصل إليها باحثون آخرون وهذا ما يسمى بالدليل النقلي، وغالبا ما يعتمد جل الباحثين على هذا النوع من

النظريات. لكن هناك أيضا من يوظف نظريته الخاصة في بحثه من خلال القيام بجمع مجموعة من الحقائق الجزئية التي توصل اليها الباحثون من قبل من خلال الدراسات السابقة، إضافة إلى الاطلاع الواسع على النظريات الخاصة بمجال البحث، وهذا الأمر صعب نوعا ما على الباحث العادي الذي لا يمتلك قدرات التمحيص والمقارنة وغيرها.. لأن الأمر يستلزم منه ضم كل تلك الحقائق ليصل من خلالها إلى بناء نظرية تتناسب والطرح البحثي، وهذا ما يسمى بالدليل العقلي.

لكن سواء كان الدليل المعتمد في البحث دليلا عقليا او نقليا، فإن الباحث يقف عاجزا أمام كيفية توظيف هذه النظريات في الطرح الاشكالي للبحث المراد إنجازه، فقد وجدنا من خلال مسار عملنا دراسات عليا تخلو تماما من توظيف النظريات، وأخرى تشير اليها ولا توظفها، وأخرى قد تسعى لذلك ولكن بشكل غير صحيح بحيث يقوم الباحث بالباس بحثه اية نظرية بطريقة تعسفية وغير علمية. من هنا جاء طرحنا للموضوع محاولة مّا لرفع هذا اللبس ومساعدة الباحث على تجاوز هذا المشكل. فكيف يتم استغلال النظرية استغلالا صحيحا؟ ومن اين نستقي الخلفية النظرية وكيف نوظفها في البحث العلمي؟ وكيف يكون للخلفية النظرية الفضل في جعل البحث أصيلا؟

علما ان جل الكتب الخاصة بالبحث العلمي التي راجعناها لا تلقي الضوء بصفة خاصة على كيفية توظيف الخلفية النظرية في البحوث العلمية وإنما تشير اليها إشارة طفيفة او قد تنعدم تماما في بعض الكتب التي تهتم باستعراض مراحل البحث مباشرة والتطرق مثلا إلى الإشكالية، خصائصها، صفاتها وأهدافها، إضافة إلى كيفية صياغة التساؤلات والفرضيات وغيرها، دون التلميح إلى كيفية توظيف الدراسات السابقة والنظريات في صياغة الإشكالية والفرضيات، ولا إلى الدور الكبير الذي تلعبه الخلفية

النظرية في تحديد مسار البحث العلمي، مما يصعب الأمر كثيرا على الباحث الذي يعول على استخدامها في بحثه العلمي.

(1) البحث العلمي:

يعتبر البحث العلمي وسيلة منهجية تساعد في التفسير العلمي والمنطقي للظواهر، والتفكير فيه هو قمة النشاطات العقلية من أجل الوصول من المقدمات التي تمثلها الملاحظات التي يقع عليها الحس البشري إلى غاية الوصول إلى النتائج التي يستخلصها الباحث من تلك الملاحظات. وهو يتعامل مع القضايا الحياتية كافة من خلال اتباع أساليب التقصي والتحليل وفق قواعد علمية تساعد في تحديد المسالك وتعريفها بشكل دقيق بعد معالجة أسبابها وابعادها.¹ ينطلق الباحث إذن من فرضيات أو تخمينات يحاول التأكد منها وذلك باتباع قوانين طبيعة أو اجتماعية يهدف من ورائها إلى الوصول إلى نتائج لتفسير الظاهرة، وعليه ان يحدد أهدافه التي قد تكون علاجية أو وقائية، أو استطلاعية، أو تصحيح ملابسات علمية سابقة، ويختار منهجه بوضوح تام وأسباب اختياره لذلك الموضوع مع وضع الإشكالية المناسبة وطرح الفرضيات الملائمة وتحديد المجال الزمني، المجال الجغرافي، والمجال البشري، ثم جمع البيانات ومناقشتها واستخلاص النتائج، وقبل كل هذا اختيار الخلفية النظرية التي يبنى على أساسها كل المراحل السابقة. ويقول في هذا الصدد الباحث صالح إبراهيم المتبوتي أن البحث العلمي هو " التقصي المنظم، واتباع أساليب ومناهج علمية محددة للحقائق العلمية، بقصد التأكد من صحتها أو تعديلها أو إضافة الجديد

¹ محمد عبيدات، منهجية البحث العلمي، القواعد والمراحل والتطبيقات، كلية الاقتصاد والعلوم الإدارية، الجامعة الأردنية، 199، ص 19.

لها...2"، فهو محاولة للتنقيب عن المعرفة واكتشافها ثم فحصها بتقصٍ دقيق ونقد عميق، ثم عرضها عرضاً مكتملاً بحسّ ذكي وإدراك عميق، وهكذا يكون البحث بحثاً علمياً حركياً وتجديدياً.

(2) النظرية العلمية:

النظرية بناء فرضي استنتاجي يعبر عن نسق فكري معرفي على درجة عالية من التجريد، وعن رؤية منهجية منظمة، وهي ذات أفكار محددة ومتسقة مع بعضها تترجم علاقة ثابتة بين متغيرات بعينها بهدف تحديدها والتنبؤ بما يعتريها من تغيرات . كما يمكننا ان نستقرأ منها تعميمات تساعدنا على توسيع نطاق معرفتنا بخصوص ظاهرة ما، وهي تلعب أيضا دور المرشد الفكري في أي بحث علمي. ويقول الباحث منذر الضامن عن النظرية " أنها علم وليست تخيلات... وهي مفاهيم وتعريفات منظمة تعمل على التنبؤ بالظاهرة وتحدد العلاقة السببية بين المتغيرات، وهي مجموعة من الفرضيات تشكل النظام الاستنباطي".³

ومن وظائف النظرية أنها تساعد في توجيه البحث، فهي التي تحدد للباحث ما يجب عليه معالجته، لأنها قد امدته بعدة تفسيرات لظواهر مختلفة. كما تعكس النظريات واقع المنظر وخلفيته ورؤيته للعالم، لأنها خلاصة ما توصل اليه من معارف تخص مجتمعه أو المجتمع الذي درسه، وتتوقف على توجهاته والأهداف التي يتوخاها منها، والعقيدة التي ينطلق منها، لهذا السبب لا يمكنها ان تكون سياقاً عالمياً يطبق على كل المجتمعات، فقد تصلح لبعضها وقد لا تصلح للبعض الآخر، وهنا تظهر نسبية هذه

² صالح إبراهيم المتينوتي، أصول البحث العلمي القانوني، بحث منشور في مجلة الفقه والقانون، عن موقع جامعة البحرين، ص 3 استخرج من الرابط www.Majalah.New.Ma بتاريخ 2015/08/07

³ منذر الضامن، أساسيات البحث العلمي، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، 2007، ص37.

النظريات بسبب اختلاف المجتمعات خاصة العربية والغربية. وهناك ايضا بعض النظريات التي لا تتمتع بالقدرة على مواكبة التغيرات السريعة للمجتمعات وهنا قد يتم اسقاطها من حيز الاهتمام، او ترك بعض ما جاءت به وتغييره بحسب الأوضاع الآتية.

(3) أهمية الخلفية النظرية في البحث العلمي:

تساعد الخلفية النظرية الباحث على فهم الظاهرة او المشكلة والعلاقة بين العوامل والمتغيرات. يقول الباحث جان ليبيار قرانير Jan Kraner "القطب النظري يقود طريقة وضع الافتراضات وبناء المفاهيم،...وهو يقترح قوعد تفسير الوقائع وتحديد الحلول المعطية مؤقتا للمعضلات،...وهو الذي يحدد حركة تحويل الأمر إلى مفهوم معين".⁴ أما الباحث موريس أنجرس Maurice Angers فيرى "أن رجوعنا إلى نظرية لها علاقة بمشكلة بحثنا يسمح لنا بتوضيحها وتوجيهها،...وتستخدم النظرية كدليل لإعداد البحوث نظرا إلى ما توفره من تأويلات عن الواقع...وهي تضمن توضيحا وتنظيما أوليا للمشكلة".⁵

تستخدم إذن النظرية في البحث من أجل اقتراح إشكالية للدراسة، وطرح فرضيات من اجل مناقشتها، والتزويد بنماذج مفاهيمية من أجل تحديد الدراسة، والمساعدة في اختيار المتغيرات والبيانات المراد جمعها، كما تسهم النظرية في جعل نتائج البحث واضحة، وهكذا تتمكن النظرية الموظفة في البحث من تنظيم النتائج الامبريقية وشرح الظاهرة، وتوضيح المتغيرات وعلاقتها ببعضها البعض.⁶

⁴ جان ليبيار قرانير، تكيف نتجج في كتابة بحثك، ترجمة هيثم اللع، لمؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1994، ص32.

⁵ موريس أنجرس، منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية، تدريبات عملية، دار القصبه للنشر، الجزائر، 2006، ص144.

⁶ منذر الضامن، مرجع سابق، ص 41.

*لكن من أين يستقي الباحث الخلفية النظرية الخاصة ببحثه؟

هناك عدة مصادر يمكن للباحث ان يعتمد عليها من اجل استخلاص النظرية المناسبة لبحثه والانطلاق منها، وبداية يمكنه الاستناد على خبرته الشخصية المبنية على تراكم التجارب العديدة التي مرّ بها، والتي اثارت عنده تساؤلات حول بعض الظواهر ولم يستطع أن يجد لها تفسيراً مقنعاً. او ان يستخلص الخلفية النظرية من خلال قراءاته المتعددة والتي يجب أن تكون قراءات واعية متأنية ناقدة وتحليلية للكتب والدوريات وغيرها من أجل استيعاب وفهم كافة المعلومات والحقائق والأفكار الموجودة فيها، وليست قراءة سطحية لأن هذه الأخيرة لا تمكنه من طرح تساؤلات أو تخلق عنده الرغبة في التحقق من الأفكار الواردة فيها. كما يمكن للباحث ان يعتمد أيضا على الدراسات السابقة كما أشرنا آنفاً، وفي كيفية استغلال هذا الدراسات السابقة حديث آخر مهم قد نتطرق إليه في مقام آخر مستقبلاً، إذن يمكن للباحث ان يراجع الدراسات السابقة والنظريات التي انطلقت منها ويوظفها ويبدأ من حيث انتهت، كما يمكنه أن يراجع أيضا خاتمة الدراسات لأنها تحوي إشارات إلى ميادين تستحق الدراسة أن تكون متممة لها. ولا يمكننا ان ننسى الدور الجبار الذي يلعبه المتخصصون في الميدان من أساتذة وخبراء يمكنهم مساعدة الباحث ومدّه بخبرتهم وتوجيهه وارشاده في كيفية ممارسة البحث العلمي السليم. يقول الباحث جون ب. ديكسون John P Dickinson عن الدراسات السابقة؛ "لا يبدأ الباحث رحلته الفكرية...وهو خالي الوفاض،...وتكون المعلومات الناتجة من أنشطة البحث العلمي متاحة عن طريق إيداعها في المجالات والكتب وبراءات الاختراع... ونتاج البحث من معلومات ومفاهيم

يجري استيفاؤه باستمرار 7.. " وعن أهمية مراجعة الدراسات السابقة يقول الباحث علي بن احمد الصبيحي " تفيد أهمية مراجعة الأدبيات في إعداد خطة البحث وإبراز أهمية مناقشة مشكلة البحث وما ستضيفه للحقل العلمي المختص، وإلى صياغة أسئلة وفرضيات البحث،... وفي تحديد أدوات البحث والمنهج المستخدم، ومعالجة البيانات... وتحليل وتفسير النتائج... وربط نتائج البحث بنتائج البحوث المشابهة السابقة له. " 8 فالدراسات السابقة تساعد الباحث على إثراء فكره، والاطلاع على ما توصل اليه الباحثون السابقون في ميدان بحثه، والوقوف على النواقص والثغرات التي ظلت دون بحث، فيتعرف على النتائج المتوصل إليها وعلى الطرائق التي تم اكتشافها والمفاهيم التي تم تحديدها، والنظريات التي صبغت في ميدان بحثه. 9 كما تؤدي مراجعة الأدبيات إلى تحديد قوة أو أساس الاطار النظري للبحث، وفي النتيجة النهائية تساعد على تعديل هذا الاطار النظري بحسب المستجدات البيئية التي قد تفرض في اغلب الأحيان بعض التغيير في الأسس النظرية والفرضيات التي تقوم عليها هذه الدراسات 10.

وبمجرد الانتهاء من عملية القراءة يستوجب على الباحث التفرغ لعملية التأمل والتدبر والتفكير في كل ما قرأه ليستطيع استغلال المعلومات والحقائق والأفكار وقولبتها من اجل تصور هيكل لموضوع البحث، وتعتبر هذه المرحلة بمثابة العصف الذهني الذي يمكنه من تصفية الافكار. فإما ان يختار نظرية جاهزة كدليل نقلي او ان يعتمد على مهاراته ويستخلص نظريته الخاصة معتمدا في ذلك على الدراسات السابقة كدليل

7 جون. ب. ديكنسون، العلم والمشتغلون بالبحث العلمي في المجتمع الحديث، عالم المعرفة، الكويت، ص 31.

8 علي بن احمد الصبيحي، دليل إجراء البحوث والدراسات المسحية، مركز البحوث، 2004، ص 15

9 وجيه محجوب، أصول البحث العلمي ومناهجه، دار المناهج للنشر والتوزيع، 2005، ص 75.

10 محمد عبيدات، مرجع سابق، ص 40.

عقلي، وبالنسبة لكيفية استخلاص النظرية المبنية على الدليل العقلي، فهنا يجب على الباحث ان يتمتع بمهارات التفكير النقدي، التي تساعده اثناء جمعه للدراسات والأبحاث والمعلومات والوقائع المتصلة بموضوع بحثه على مناقشة الآراء المختلفة لتحديد الصحيح منها وغير الصحيح، والقدرة على تمييز نواحي القوة ونواحي الضعف في الآراء المتعارضة. كما تمكنه من تقييم الآراء بطريقة موضوعية بعيدة عن التحيز والذاتية، مع البرهنة وتقديم الحجة على صحة الرأي الذي قام باختياره. وهذا الأمر يستدعي منه ان يكون دقيقا جدا في ملاحظة الوقائع والأحداث بحسّ موضوعي. حيث يقول الباحث فؤاد في هذه النقطة: "لا يكون النشاط العقلي للإنسان علما، بالمعنى الصحيح، إلا اذا استهدف فهم الظواهر وتعليلها، ولا تكون الظاهرة مفهومة بالمعنى العلمي لهذه الكلمة، إلا اذا توصلنا الى معرفة أسبابها... من أجل إرضاء الميل النظري لدى الانسان... والوصول الى نتائج عملية أنجح بكثير".¹¹

4) توظيف الخلفية النظرية في البحث العلمي:

نستهل هذا العنصر بطرح سؤال مهم وهو كالتالي؛

*كيف يقوم الباحث بتوظيف النظرية في البحث العلمي الميداني؟

على الباحث في بداية الأمر وبعد اختياره لظاهرة ما من أجل معالجتها أن يكون على اطلاع عام بمختلف النظريات التي تطرقت لموضوع بحثه، وعليه أن يتجنب قدر المستطاع النظريات العامة الكبرى ويهتم أكثر بالنظريات الخاصة بموضوعه. لكن عليه أولا ان يكون ملما بميدان بحثه، فمثلا إذا اختار دراسة ظاهرة العنف دراسة أنثروبولوجية، عليه أن يكون ملما بميدان أنثروبولوجيا العنف والصراع

¹¹ فؤاد زكريا، التفكير العلمي، عالم المعرفة، الكويت، ص 31

التي تدرس العوامل المساهمة في حدوثهما وتداخلهما مع طيف واسع من الظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية الحاضرة لهما. ثم عليه أن يستعين بالجهود التنظيرية التي ترتبط مباشرة بحثه، ففي مجال العنف مثلا ظهرت العديد من النظريات التي تناولته ومن بينها؛ نظرية هوبز Hobbes حول العنف التي ترتبط بما يطلق عليه "حرب الجميع ضد الجميع"، وقد وضع أربع فرضيات لتفسير العنف. تقول الفرضية الأولى بأن سلوك الناس تحركه مجموعة من الرغبات تكون مشتركة بينهم جميعا. أما الفرضية الثانية، فتذهب إلى انه يمكن أن توصف هذه الرغبات، بأنها رغبات مستبدة ولا هودة فيها، وهي إما أن تظهر كبدائل عن حاجات بيولوجية جامحة، أو أن عمليات إشباعها تعمل على تجديدها تلقائيا. في حين ترى الفرضية الثالثة ان مصادر إشباع هذه الرغبات، والحاجات، ترتبط عادة وفي الغالب بموارد محدودة، مما يجعل فرص إشباعها غير متاحة للجميع وبشكل مطلق. وفي الأخير يرى عبر الفرضية الرابعة ان حالتها الرغبة/الحاجة، وقلة الموارد/الندرة، تفرض تنافسا دائما بين الناس، بما يجعل القوة ضرورة" كبعد ثالث لحسم نتيجة التنافس، حيث ان هذه القوة، غير قابلة للاحتكار من طرف ما، وبما يكفي لفرض هيمنته على الطرف الاخر بصورة دائمة، فان عدم استقرار التنافس بين الناس، سيكون هو الحالة المرجحة، بما يعرض كل واحد منهم لمخاطر حرب الجميع ضد الجميع.¹² أما نظرية هيغل Hegel حول العنف فتري انه يحق لكل فرد التمتع بالحرية وتلبية حاجاته الأساسية من الغذاء والاطمئنان، الأمر الذي يؤدي إلى الاصطدام بين الأفراد

¹² محمد الخشين، العنف، مقال استخرج من الأنترنت بتاريخ 25-06-2014، من الرابط <http://www.startimes.com/f.aspx?t=17617919>

من أجل ذلك، وعندها يتم استخدام العنف للحصول على تلك الحاجيات. 13
وبخصوص كارل ماركس Karl Marx فتبرز نظريته حول العنف من خلال الصراع
الطبقي عبر تضارب مصالح طبقة بورجوازية مالكة لوسائل الإنتاج، وطبقة أخرى
مهيمن عليها لا تملك سوى جهدها العضلي، وهو يرى أن هاتين الطبقتين كانتا في
صراع دائم، فيجب أن تقضي إحدهما على الأخرى أو ينتفیان معا. وقد انصب اهتمام
ماركس على العنف الثوري، وربط بين كل من التغير والصراع والعنف مؤكداً الدور
الإيجابي الذي يؤديه العنف في حركة التاريخ، فالصراع يشير إلى وجود خلل في البنى
الاجتماعية، أما العنف فهو شرط أساسي لتجاوز هذا الخلل ولإحداث التغيير، فهو
الأداة التي تضع بواسطتها الحركة الاجتماعية مكانتها وتحطم أشكالاً سياسية جامدة
وميتة. ويرى ماركس انه عندما يتم حسم هذا الصراع، بنزع الملكية من المالكين
السابقين، فان العنف الذي أدمى البشرية منذ مرحلة فجر التاريخ سيختفي عندما
تختفي أسبابه. 14

اما جورج سوريل Sorel Georges فيرى في نظريته حول العنف، أن هناك فرق بين
العنف والقوة، فالقوة في نظره هي تلك الوسائل من إدارة، وجيش، وحرس، وقوات أمن،
وقوانين تسهر على حفظ الأمن في إطار نظام سائد. والبورجوازية تتمتع بالقوة وتتحكم
فيها، أما الطبقة العاملة والتي لا تتمتع بالقوة المادية فهي تلجأ لممارسة العنف للدفاع
عن مصالحها والإطاحة بنظام التمايزات والفروقات لاستبدالها بنظام المساواة التامة.

¹³ أشرف منصور، قراءة لمفهوم الدولة في فلسفة هيجل، مقال استخرج بتاريخ 2014-06-26 من الرابط
<https://ar-ar.facebook.com/georgebarshen/posts/478318142248305>

¹⁴ نبيل عودة، الصراع الطبقي ومسائل ماركسية أخرى، مقال استخرج بتاريخ 2014-06-26 من الرابط
<http://mnaabr.com/vb/showthread.php?p=104889>

15 في حين نجد أن نظرية فرويد Freud حول العنف تعتبره سلوكا إنسانيا يمثل رغبة تدميرية، حيث يؤكد على أن العنف والتدمير نزعة طبيعية في الإنسان تتعايش مع نزعة مناقضة لها يسميها نزعة الإيروس أو نزعة الحياة التي تدفع إلى الإبداع والخلق لدى الإنسان. والعدوانية في نظره أصيلة لدى الإنسان وغير محولة ثقافيا، فهي ليست ذلك العدوان الذي يصدر كرد فعل عندما لا تتحقق رغباتنا ونحس بالإحباط جراء ذلك، بل هي نزعة تلقائية، فكل كائن حي مجهز بشكل فطري بالعنف¹⁶. وإذا ما اتجهنا صوب المفكر رينيه جيرار René Girard فنجد قد فسر العنف في كتابه العنف والمقدس¹⁷ بوجوده وحضوره في جميع المجتمعات والثقافات، ففي رأيه بداخل الجماعة عنف معمم ودائم، يسمى العنف الداخلي؛ أي ذلك العنف الذي يسكن في النفسية الفردية و الجماعة. ثم تظهر عادة التضحية بشخص أجنبي أو غريب أو أسير، تنسب له الجماعة جميع المساوئ والشورور، وجميع الخروقات التي يعرفها المجتمع، أو الكوارث والأهوال، كالأزمات والمجاعات، والفيضانات، والزلازل، والانهازات، والتي يعتقد الناس أنها تهدد كيان المجتمع عبر تهديدها للمعتقدات والممارسات المقدسة، فيتم طرد ذلك الشخص من المجتمع ونفيه أو يتم قتله... وفي زمن لاحق تم استبدال الضحية البشرية بأضحية من الحيوان المدجن، ويسميه روجيه؛ تيس الفداء أو الذبيحة، الأضحية. أما النظرية الفينومينولوجية الرمزية فترى أن المجتمعات البشرية تلجأ أيضا إلى الإجراءات الدرامية، حيث تقوم بتشخيص ما يمكن أن يقع لو اختزلنا العنف في الانتفاع فقط؛ وما يمكن للعنف أن يكونه في غياب

¹⁵ العلمي الادريسي رشيد، الفلسفة السياسية ومسألة العنف، مقال استخرج بتاريخ 2014-06-26 من الرابط http://www.fikrwanakd.aljabriabed.net/n26_05idriss.htm

¹⁶ النظريات النفسية للعنف، مقال استخرج بتاريخ 2014-06-26 من الرابط <http://amjadayoubi.arabblogs.com/archive/2008/2/456902.html>

¹⁷ رينيه جيرار، العنف والمقدس، مركز دراسات الوحدة، المنظمة العربية للترجمة.

التبادل والعقل؛ وكل ما يمكن أن ينتج عن تلك الاختلالات من فيض للعنف وانتشار له. فما يمكن أن يحد من هذا الانتشار هو تجسيده، دراميا ومسرحيا لتبيين العنف، وطموح، وإرادة الإنسان في التحكم فيه وتجاوزه نسبيا. أن هذه النظرية تفسح المجال امام العنف لكي يُمسرح وبشاهد، ومن خلال هذه المشاهدة نعترف بوجوده ونحاول معالجته.18

من هنا يتضح لنا وجود ثلاث مقاربات تناولت العنف، هناك المقاربة البيولوجية التي يحاول أصحابها إرجاع سلوك العنف إلى عوامل بيولوجية بحتة، حيث يرون أن الشخص بطبيعته التكوينية والبيولوجية يميل أكثر إلى استخدام العنف، وأنه يولد عنيفا بطبعه بسبب التركيبة الفسيولوجية، ومن ثم يمارس العنف على غيره. وهذه المقاربة تدعم بشكل أو بآخر فكرة ممارسة العنف وتبررها بأنها امر طبيعي، ومن ثم فإن التعاطي معها أمر طبيعي. أما المقاربة الثانية فهي سيكولوجية ترجع ظاهرة العنف إلى أسباب كامنة في شخصية الفرد، وليست خارجة عنه. ويؤكد أصحاب هذه المقاربة أن تجارب الطفل القاسية تولد لديه سلوكيات عدوانية تؤثر على سلوكه في المستقبل، لتصبح هذه السلوكيات العدوانية فيما بعد جزءا من شخصيته. في حين نجد ان المقاربة الثالثة تتمثل في المقاربة الثقافية الاجتماعية التي تعتبر بأن الثقافة بكل عناصرها ومضامينها تحدد السمات الأساسية لأي مجتمع، فالثقافة التي تتسم بالعنف والصراع تنتقل إلى الأفراد، وإلى طريقة تفكيرهم، فيكتسبونها عن طريق مختلف مؤسسات التنشئة الاجتماعية ووسائل الإعلام المختلفة، مثل الأسرة، المدرسة ثم المجتمع.

¹⁸عبد الله حمودي، العنف، إضاءة أنثربولوجية، مقال استخرج بتاريخ 2014/06/25 من الرابط، http://www.aljabriabed.net/n55_05zarnin.htm

من هنا يجد الباحث نفسه امام نظريات مختلفة وكثيرة حول موضوع العنف والصراع، ومقاربات متنوعة، فيجب عليه أن يحدد المقاربة التي يريد دراستها ويحدد النظرية التي تخدم بحثه ويجعلها كخلفية ينطلق منها. فتكون مفاهيم النظرية المختارة هامة في تحديد العلاقة بين الظاهرة المدروسة كما تساعد في استخراج الاستنباط، وهي مهمة أيضا في بناء النظرية الجديدة.

وفي حال انعدام نظريات خاصة ببحثه، وكضرورة يمكنه ان ينطلق من الحقائق الجزئية ليشكل نظرة شمولية عن الموضوع، فيوظف الحقائق التي توصل اليها الباحثون الذين سبقوه في مجال بحثهم باعتبارها دراسات سابقة، وعليه ان يختار منها تلك التي تتمتع بالتناسق لتكون إطارا منهجيا ترشده في مسار بحثه. كما أشرنا له سابقا.

وفي مرحلة تالية وبعد ان يختار الباحث الإطار النظري المناسب للبحث يقوم باستخراج المفاهيم وطرح الاشكالية وصياغة الفرضيات، والمتغيرات التي ينطلق منها في بحثه من هذه النظرية، وليس العكس. بحيث يقول الباحث مروان عبد المجيد إبراهيم انه يجب على الباحث أن " يتمكن باطلاعه على الأبحاث السابقة والمعاصرة له من صياغة بعض الفروض العلمية صياغة دقيقة... "19 فالإشكالية والفرضية تستمدان قوتها من النظرية الجيدة والمناسبة للبحث. وكخطوة علمية ناجحة على الباحث ان يتعرف على أوجه القصور في النظرية ليحاول استكمالها وهذا يسمح له بطرح تساؤلات كثيرة وصياغة فرضيات جديدة تجعل من بحثه بحثا اصيلا ذو نظرة جديدة، وهنا تكمن أصالة البحث العلمي الذي يتساءل عنها دوما الباحث. من هنا

¹⁹ مروان عبد المجيد إبراهيم، أسس البحث العلمي لإعداد الرسائل الجامعية، مؤسسة الوراق، عمان، الأردن، ط1 2000، ص 34

يجب ان ينطوي الموضوع الذي يتناوله البحث على شيء جديد إذا لم يكن بأكمله موضوعا جديدا فمن الواجب على الباحث أن يبدأ من حيث انتهى العلماء الآخرون فلا يكرر ما قام به السابقون ولا يبدأ من حيث بدأوا...²⁰ ويمكن للبحث أن يكون اصيلا عندما يبيّن الباحث مدى اسهام بحثه في تطوير النظرية التي اعتمد عليها، وهنا يمكننا القول أن الاصاله تتحقق من خلال الاعتماد على منهجيات جديدة، او أدوات وتقنيات معينة جديدة، او جوانب بحث جديدة، او جوانب معرفية ومخرجات جديدة، او تطوير نظرية موجودة، او تطبيق النظرية في جوانب معرفية جديدة.²¹ وبلغة أخرى على الباحث ان يتعرف على مشكلة البحث من واقع خبرته ومن واقع الرجوع المكثف للدراسات السابقة خاصة الحديثة منها، ليتمكن بعد بناء الخلفية النظرية المناسبة من توصيف مشكلة البحث بدقة، وفي هذا الإطار يمكننا ان نشير الى مشكلة مهمة تعترض الباحث وهي عدم ادراكه الفرق بين موضوع البحث ومشكلة البحث؛ وفي الواقع ان موضوع البحث هو حقل معرفي عام يجب دراسته والالمام به قبل البدء في التتقيب والبحث عن المشاكل البحثية، وهو أي موضوع البحث يشتمل على العديد من المشكلات البحثية التي يحيط بها الغموض والقابله للدراسة. وهنا يذكر الباحث محسن أحمد الخضيرى عدة أسئلة يجب على الباحث الإجابة عليها ليتمكن من تطبيق اشكاليته بإحكام فيذكر مثلا؛ "ما هي الظواهر التي دلت على وجود المشكلة؟ هل هناك ترابط بين تلك الظواهر وظواهر أخرى قائمة في مجتمع البحث؟ هل لديك معلومات كافية عن المشكلة محل البحث؟ ما هي طبيعة المعلومات التي لديك، وهل اكتسبتها من واقع عملي أو من واقع نظري؟ أم من الاثنان معا؟ ما هي أبعاد المشكلة؟

²⁰ مروان عبد المجيد إبراهيم، المرجع السابق، ص 28

²¹ منذر الضامن، مرجع سابق، ص 39.

وأثرها؟ وما هي العوامل المؤثرة عليها؟ والمتغيرات المتأثرة بها؟ هل لديك إمام كاف بالمفاهيم والمصطلحات والنظريات والآراء المتعددة قديما أو التي استحدثت في مجال دراسة المشكلة أو طرق البحث.²²

إن الإجابة الدقيقة على هذه الأسئلة وبموضوعية تامة تساعد الباحث على تحديد الاشكالية وأبعادها وكافة جوانبها ومن ثم يمكنه تحقيق النتائج السليمة المرجوة من البحث. وبهذا الشكل تكون صياغة إشكالية البحث هي خاتمة الجانب النظري المفعم بالقراءة والتقصي والاطلاع على النظريات والمفاهيم والأفكار المعاصرة وليس بدايته. وبعد هذه المرحلة على الباحث الذي تحصل على البيانات الميدانية ان يستعين بمسلمات وفرضيات النظرية التي اختارها ويوظفها في عملية وصف وتحليل وتفسير الظاهرة التي يعالجها ويحاول الوقوف على العلاقات بين متغيراتها، ويفحص الشبه والاختلاف بين نتائج البحث والنتائج في الأبحاث التي استعرضت في فصل الخلفية النظرية كنوع من عملية إنكفاء روح المناقشة، فيقوم الباحث بربط الخلفية النظرية بنتائج بحثه، ويناقش حسب ما ورد في الأهداف والفرضيات ويتسلسل تام، كما يقوم بمقارنة النتائج مع المعايير البيئية الخاصة به، وفي حال وجد فرقا كبيرا بين النتائج يمكنه ان يعطي تفسيراً للأمر ويحاول معرفة أسباب الاختلاف. وبعد استنتاج الاستنتاجات بناء على نتائج البحث والخلفية النظرية للأبحاث السابقة، من المهم أن يوضح الباحث إمكانيات تطبيق نتائج البحث على أرض الواقع. كل هذا العمل يمكن الباحث ويساعده في أن ينفخ النظرية التي انطلق منها وقد يذهب بعيدا إذ بإمكانه ان ينتقدها إن لم يتوصل الى النتائج المرجوة منها، أو يستعين بها في حل التناقضات بين النتائج التي

²² محسن أحمد الخضيرى، الأسس العلمية لكتابة رسائل الماجستير والدكتوراه، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1992، ص14

توصل إليها ان كانت تطابق ما توصل اليه. وتقول الباحثة ناهد حمدي أحمد، " الباحث لا يأخذ بآراء الغير على انها حقيقة مسلم بها، إذ يتحتم عليه ان يقف موقف الناقد تجاه كل ما يحصل عليه من معلومات،... ولا يسلم بما قرره غيره من نتائج، بل يدرس بنفسه الأحداث والأسباب، مع مقارنة النصوص بعضها ببعض بتبصر وسعة اطلاع، وعمق تفكير، وقوة في النقد...ليتمكن من الوصول الى موضوعات بحث علمية جديدة."23

وعن الروح النقدية يقول الباحث فؤاد زكريا؛ "اول معنى للموضوعية هو أن تكون لدى المرء روح نقدية. ومعنى ذلك ألا يتأثر بالمسلمات الموجودة أو الشائعة، وأن ينتقد نفسه ويتقبل النقد من الآخرين. فأهم ما يميّز العالم قدرته على أن يختبر الآراء السائدة...بذهن ناقد لا ينفاد وراء سلطة القدم أو الانتشار أو الشهرة، ولا يقبل إلا ما يبدو له مقنعا على أسس عقلية وعلمية سليمة...وهذا يعني اختبار الآراء الشائعة واخضاعها للفحص العقلي الدقيق، وربما عاد لقبولها آخر الأمر بعد ان يكون قد اطمأن انها اجتازت هذا الاختبار. أما لو تبين له ضعف أو تناقض أو تفكك...فإنه يتمسك بموقفه الجديد بكل ما يملك من تصميم وإصرار..."24 وعن الموضوعية يقول كارل بوبر Karl Popper "يكون العلم موضوعيا، بمعنى ان نظرياته لا يمكن ان ترد الى محتوى الشعور لأي فرد، فبمجرد قيام النظرية تعرض للاختبار...فإما ان تبقى النظرية او ترفض."25

²³ ناهد حمدي أحمد، مناهج البحث في علوم المكتبات، كلية الآداب، جدة، 1979، ص44.

²⁴ فؤاد زكريا، مرجع سابق، 212.

²⁵ كارل بوبر، منطق الكشف العلمي، ترجمة وتحقيق: ماهر عبد القادر محمد علي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1997، ص37.

فالباحث يتقبل نقد الآخرين وفي نفس الوقت عليه ان يقوم بعملية النقد الذاتي لبحثه، وهذا عمل صعب نوعا ما لأنه قد يؤدي إلى هدم حصيلة البحث كله إذا ما تبين للباحث انه قد أخطأ فيه، ولكنه في نفس الوقت مثمر جدا، حيث يقول الباحث فؤاد زكريا، " من المؤكد أن القليلين هم الذين تتوافر لديهم القدرة على مراجعة النفس بأمانة، وإعادة النظر في أعمالهم...بحيث يستغنون عنها استغناء تاما إذا اقتنعوا بان ذلك ضروري، فهذه المراجعة تحتاج إلى مستوى أخلاقي رفيع، وإلى إنكار للذات لا يقدر عليه معظم الناس، ...ولكن هؤلاء...هم الذين ينهض العلم على أيديهم."²⁶

خاتمة

بعد الإحاطة بالنظرية العلمية وكيفية توظيفها كخلفية للبحث وبعدها استعرضنا ذلك بالتفصيل، يمكننا أن نخلص إلى أهم النتائج؛ وهي ان الباحث يلاقي مشكلة عويصة في كيفية تطبيق الخلفية النظرية في البحوث العلمية، ولكي يتجاوز هذا المشكل وجب عليه اتباع الخطوات التالية من اجل ضمان استغلال جيد للخلفية ومن ثم الوصول إلى نتائج جديدة.

*بداية على الباحث ان يذكر الظاهرة المراد دراستها والاشكالية التي سيحاول الإجابة عليها، ثم يذكر علاقتها بالنظرية مع ذكر جوهر النظرية، ثم يورد المصطلحات والمفاهيم الواردة في النظرية والتي سلم بوجودها واستخدمها في بحثه، ثم يذكر الحقيقة التي يسعى إلى دراستها على ضوء هذه النظرية؛ أي إثبات صحة هذه النظرية حول الظاهرة المراد دراستها. ثم يقوم بصياغة الفرضيات، حيث يضع الاقتراحات للنظرية القابلة للاختبار عن أسباب المشكلة وابعادها المختلفة وكيفية علاجها، وهذه الفرضيات

تكون مشتقة من نفس النظرية التي تم الاعتماد عليها في طرح الإشكالية، ويكون هدفها مساعدة الباحث على تحديد جوانب الإشكالية التي ينبغي ان يركز عليها اثناء جمع البيانات. وبعد ذلك يستعين بمسلمات وفرضيات النظرية التي اختارها من اجل استغلالها في عملية وصف وتحليل وتفسير الظاهرة التي يعالجها، فيقف على العلاقات بين متغيراتها، ويفحص الشبه والاختلاف بين النتائج المتوصل اليها ونتائج الخلفية النظرية المختارة، وبعدها يربط الباحث الخلفية النظرية بنتائج بحثه، ويناقش ويقارن حسب ما ورد في الأهداف والفرضيات، وهكذا يمكنه التوصل إلى نتائج جديدة بناء نتائج الخلفية النظرية المعتمدة، وله ان ينتقد نتائج الخلفية النظرية إن لم تتحقق وكانت غير مطابقة لواقع دراسته.

*وبخصوص اصالة البحث العلمي والتي يتوق اليها معظم الباحثين فقد تبين اننا نصل اليها من خلال اعتمادنا على منهجيات جديدة، او أدوات وتقنيات معينة جديدة، او طرق جوانب بحث جديدة، او جوانب معرفية ومخرجات جديدة، او اسهام الباحث في تطوير النظرية التي وظّفها كخلفية نظرية.

من هنا وجب على الباحث الذي يتوق الى ان يكون بحثه جديا واصيلا وسليما وعلميا بالدرجة الأولى، ويتمتع بالممارسة الفعلية للبحث العلمي أن يلتزم في خطاه نحو الوصول إلى الحقيقة بتوضيح وشرح الخلفية النظرية لموضوع بحثه وأن يضعه في الإطار النظري الصحيح الذي سيثري ويوسع آفاق البحث بشكل واضح ويعطيه الصبغة العلمية، وسيفتح لا محالة مسارا للتقدم العلمي المتلاحق.

المراجع:

- (1) أشرف منصور، قراءة لمفهوم الدولة في فلسفة هيغل، مقال استخرج بتاريخ 26-06-2014 من الرابط <https://ar-ar.facebook.com/georgebarshen/posts/478318142248305>
- (2) جان لبيبار قرانير، تكيف تتجح في كتابة بحثك، ترجمة هيثم اللمع، لمؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1994.
- (3) جون. ب. ديكنسون، العلم والمشتغلون بالبحث العلمي في المجتمع الحديث، عالم المعرفة، الكويت.
- (4) وجيه محبوب، أصول البحث العلمي ومناهجه، دار المناهج للنشر والتوزيع، 2005.
- (5) كارل بوير، منطق الكشف العلمي، ترجمة وتحقيق: ماهر عبد القادر محمد علي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1997.
- (6) محسن أحمد الخضيرى، الأسس العلمية لكتابة رسائل الماجستير والدكتوراه، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1992.
- (7) محمد الخشين، العنف، مقال استخرج من الأنترنت بتاريخ 25-06-2014، من الرابط <http://www.startimes.com/f.aspx?t=17617919>
- (8) محمد عبيدات، منهجية البحث العلمي، القواعد والمراحل والتطبيقات، كلية الاقتصاد والعلوم الإدارية، الجامعة الأردنية، 1999.
- (9) مروان عبد المجيد إبراهيم، أسس البحث العلمي لإعداد الرسائل الجامعية، مؤسسة الوراق، عمان، الأردن، ط1 2000.

- (10) منذر الضامن، أساسيات البحث العلمي، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، 2007. للنشر، الجزائر، 2006، ص144.
- (11) ناهد حمدي أحمد، مناهج البحث في علوم المكتبات، كلية الآداب، جدة، 1979.
- (12) نبيل عودة، الصراع الطبقي ومسائل ماركسية أخرى، مقال استخرج بتاريخ 26-06-2014 من الرابط <http://mnaabr.com>
- (13) النظريات النفسية للعنف، مقال استخرج بتاريخ 26-06-2014 من الرابط <http://amjadayoubi.arabblogs.com/archive/2008/2/456902.html>
- (14) عبد الله حمودي، العنف، إضاءة أنثروبولوجية، مقال استخرج بتاريخ 2014/06/25 من الرابط، http://www.aljabriabed.net/n55_05zarnin.htm
- (15) العلمي الادريسي رشيد، الفلسفة السياسية ومسألة العنف، مقال استخرج بتاريخ 2014-06-26 من الرابط http://www.fikrwanakd.aljabriabed.net/n26_05idriss.htm
- (16) علي بن احمد الصبيحي، دليل إجراء البحوث والدراسات المسحية، مركز البحوث، 2004.
- (17) فؤاد زكريا، التفكير العلمي، عالم المعرفة، الكويت.
- (18) صالح إبراهيم المتبوتي، أصول البحث العلمي القانوني، بحث منشور في مجلة الفقه والقانون، عن موقع جامعة البحرين، ص 3 استخرج من الرابط www.Majalah.New.Ma بتاريخ 2015/08/07
- (19) رينيه جبرار، العنف والمقدس، مركز دراسات الوحدة، المنظمة العربية للترجمة